

## الإسلاميون الفلسطينيون والقضية الفلسطينية

### الحركات الإسلامية: المشروع الوطني والصراع الفلسطيني الإسرائيلي

سميح حمودة - جامعة بيرزيت، فلسطين

#### مقدمة

تتناقش هذه الورقة موقع الحركات الإسلامية ضمن حركة التحرر الوطني الفلسطيني، وتتناول مسألة الهوية الوطنية وعلاقتها بالدين، وتبحث في المرجعية الأيديولوجية لهذه الحركات، والعلاقات التي أقامتها مع المحاور والقوى الإقليمية؛ وتدرس الورقة مواقف هذه الحركات من المشروع الوطني الفلسطيني ما قبل اتفاقيات أوسلو، ومواقفها من اتفاق أوسلو؛ وكذلك مواقفها من آفاق حل القضية الفلسطينية، ومن أشكال النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي. وهي في النهاية ومن خلال هذا العرض تهدف لتحديد مناطق الاتفاق والانسجام بين هذه الحركات من جهة، وبين ما يطلق عليه في الأدبيات السياسية والإعلامية بالحركة الوطنية الفلسطينية، والتي تتجسد اليوم في السلطة الوطنية الفلسطينية وقاعدتها الأساسية المتمثلة بحركة فتح، وبحلفاء فتح من الحركات الأخرى المنضوية تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية، من جهة ثانية. فبالإضافة للاختلافات في الأطروحات السياسية بين الحركات الإسلامية الفلسطينية والحركات الوطنية هناك اختلاف في المرجعية الفكرية والأيديولوجية للطرفين، فالحركات الوطنية لم تستند للدين بصورة حصرية أو أساسية في تحليلها للقضية الفلسطينية، وبالتالي في تحديد مواقفها السياسية ونضالها الوطني، كما فعلت الحركات الإسلامية التي اعتمدت الإسلام مرجعية لمثل هذا التحليل ولمثل هذه المواقف السياسية. والسؤال المركزي للورقة هو: "هل يوجد من الناحية الفكرية والنظرية ما يسمح بصياغة برنامج سياسي ونضالي مشترك بين الحركات الإسلامية وبين الحركة الوطنية الفلسطينية، أم أن الاختلاف الفكري والنظري بينهما يحول دون الالتقاء على هكذا برنامج؟"

ما سنتطرحة الورقة بشكل أساسي هو أن جوهر الخلاف بين أهم حركتين من الحركات الإسلامية، حماس والجهاد، والحركات الوطنية يعود بالدرجة الأولى للرؤى والبرامج السياسية التي تستند لقراءة التاريخ والواقع ولدور الدين في الصراع مع إسرائيل، وأنّ بالإمكان تطوير برنامج وطني مشترك يستجيب لمتطلبات الواقع الفلسطيني والعربي والدولي، في حين أستحالة مثل هذا البرنامج مع حزب التحرير، لطبيعة الأطروحات السياسية والفكرية التي يطرحها الحزب.

## توضيح حول المصطلحات

يشمل مصطلح "الحركات الإسلامية" في مباحث هذه الورقة كلاً من حركة حماس، وحركة الجهاد الإسلامي، وحزب التحرير، والورقة لا تبحث في مواقف الجماعات السلفية، ولا في مواقف الجماعات الصوفية، فالأخيرة لا تقوم بأية نشاطات سياسية، ولا يوجد لها برامج محددة في هذا المجال؛ أما الجماعات السلفية فصحيح أنها موجودة على الساحة السياسية الفلسطينية وتحاول أن تلعب دوراً فيها، ولكنها تفتقد لأي تأطير نظري أو فكري يسمح لنا بدراسة مواقفها وتوجهاتها الفكرية، كما أنها هلامية الكيان لا يمكن حصرها في بنية تنظيمية واضحة تسمح بصياغة استنتاجات حولها، وتتراوح مواقفها العملية بين موقف معادٍ للحركات الوطنية، ورافضٍ للتعاون معها، وموقف آخر يعترف بشرعية السلطة ويتعاون معها.

يقصد بنسبة "الإسلامية" لهذه الحركات أنها تعتبر الإسلام مرجعيتها الفكرية والسياسية، فهي تعتبر نفسها جزءاً من، وامتداداً لحركية الأمة الإسلامية التاريخية وتعبيراتها التنظيمية عبر الزمان والمكان، ولكنها، باعتقادنا وقناعتنا، ورغم هذا الاعتبار الذاتي لها، لا يمكن لها أن تملك حقاً حصرياً في تمثيل الإسلام، أو حقاً في نزعه عن الآخرين ممن يتم تصنيفهم في الأدبيات السياسية والإعلامية تحت مصطلح الحركات الوطنية أو العلمانية، لأن ما تقدمه هذه الحركات الإسلامية لا يخرج عن كونه اجتهاداتٍ من مؤسسيها ومفكريها، ولا يمكن لها أن تحمل صفة العصمة أو الصحة المطلقة، ولا يمكن لها أن تنفي إمكانية وجود اجتهادات أخرى تتعارض معها، وهذه مسألة مهمة للغاية في أطروحة هذه الورقة، وهي تستند إلى طبيعة الفقه الإسلامي المرنة التي تسمح بالتعامل بطرق مختلفة مع الواقع البشري، ولا تقتضي أطروحات مثالية تتحدث فقط عن ما يجب أن يكون، تاركَةً الظروف الموضوعية خارج الاعتبار.

ورغم أنّ الحركات الإسلامية تستمد آراءها من الإسلام إلا أنها تختلف فيما بينها في الطرح السياسي اختلافاً عميقاً وواسعاً، ولا يمكن اختزال هذا الاختلاف أو إهماله، كونه يعكس نشوء وتطور حركات اجتماعية-سياسية متباينة، وإن كانت تستند للفكر والموروث الثقافي الإسلامي، في ظل مناخات وخلفيات محلية وإقليمية ودولية متعددة ومختلفة، وتحت قيادة قوى ونخب اجتماعية تستند لخلفيات فكرية واقتصادية، وجذور وانتماءات اجتماعية متنوعة ومتنافسة، ولا يمكن للمرجعية الفكرية الواحدة أن تلغي هذه التباينات، فاختلاف وتباين هذه الحركات أمر طبيعي وينسجم مع حقائق الاجتماع البشري.

ويقصد بالحركات الوطنية في هذه الورقة الحركات الفلسطينية التي نشأت وتبلورت في مواجهة الحركة الصهيونية منذ بداية نشاطها الاستيطاني على الأرض الفلسطينية، وفي مواجهة الدولة الإسرائيلية التي قامت على 78% من فلسطين الانتدابية، وأيضاً في وجه الاحتلال العسكري الذي فرضته إسرائيل على الأراضي التي احتلتها عقب حرب حزيران 1967. وقد تنوعت المرجعيات الفكرية والأسس النظرية للحركات الوطنية، وتباينت مواقفها من دور الإسلام في المواجهة مع الصهيونية وإسرائيل، فبعضها لم يعر له في الماضي بالأ في هذا المجال، والبعض الآخر تفاوت في حجم الدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام، ولكن من المؤكد حالياً أنّ أغلب القوى والحركات الوطنية الفلسطينية تؤمن بدورٍ إيجابي للإسلام في حشد القوى الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية في مواجهة إسرائيل وحلفائها في العالم.

## ملاحظة تاريخية

ينبغي ملاحظة أنّ الحركة الوطنية الفلسطينية حتّى نهاية الخمسينيات لم تواجه الانفصام الموجود حالياً مع الحركات الإسلامية، فهذه الحركة كانت تقودها زعامة دينية، ممثلة بالحاج أمين الحسيني، وكان خطابها السياسي والإعلامي ذا هوية وطابع ديني، وكانت على علاقة وثيقة بجماعة الإخوان المسلمين في مصر وفلسطين. وقد بدأ الانفصام بين الهوية الوطنية والهوية الإسلامية في الأطروحات السياسية التي أخذ حزب التحرير في طرحها منذ عام 1953، حيث ربط بين تحرير فلسطين وبين مسألة استعادة الخلافة الإسلامية، واعتبر الثانية شرطاً أساسياً ومسبقاً للأولى، وقال بأنّ استعادة الخلافة لا يتم إلا وفق طريقة محدّدة مستبعدة من سيرة

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ اتِّبَاعَ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ، لَا يَجُوزُ الْأَخْذُ بِسِوَاهَا. كَمَا أَخَذَ فِي نَشْرِ آرَاءِ سِيَاسِيَّةٍ مَعَادِيَّةٍ لِكُلِّ الْحَرَكَاتِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ، وَاعْتَبَرَهَا حَرَكَاتٍ كَفَرٍ مَوَالِيَّةٍ لِلْغَرْبِ الْإِسْتِعْمَارِيِّ، وَمَنَاهِضَةً لِلْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَرَأَى الْحَزْبَ فِي تَأْسِيسِ مَنظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ سَنَةَ 1964 مِؤَامَرَةً أَمْرِيكِيَّةً لِتَصْفِيَةِ الْقَضِيَّةِ يَقُومُ النِّظَامُ النَّاصِرِيُّ بِمِصْرَ بِتَطْبِيقِهَا. أَيْضاً عَزَّزَ الصَّرَاعَ بَيْنَ النِّظَامِ النَّاصِرِيِّ وَجَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي مِصْرَ مِنْ هَذَا الْإِنْفِصَامِ، إِذْ أَخَذَتْ تَتَبَلُّورُ فِي مِصْرَ وَفِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ حَرَكَةٌ قَوْمِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ مَنَاهِضَةٌ وَمَعَادِيَّةٌ لَجَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ، مَعْتَبَرَةً إِيَّاهَا حَلِيفَةً وَعَمِيلَةً لِلْإِسْتِعْمَارِ وَلِقَوَى الرَّجْعِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

أَدَّى الصَّرَاعَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالنِّظَامِ النَّاصِرِيِّ إِلَى لُجُوءِ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَّةَ إِلَى الْعَمَلِ السَّرِّيِّ، وَإِلَى الْكِفَاحِ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ، كَمَا أَدَّى بِهَا فِي الضَّفَةِ الْغَرْبِيَّةِ وَفِي الْأُرْدُنِ إِلَى تَعْزِيزِ تَحَالُفِهَا مَعَ النِّظَامِ الْهَاشِمِيِّ، وَالتَّعَاوُنِ مَعَهُ لِمُكَافَحَةِ النَّاصِرِيِّينَ وَالشُّيُوعِيِّينَ وَالْبَعْثِيِّينَ، مِمَّا هَمَّشَ اِهْتِمَامَ الْحَرَكَةِ بِالْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ، وَأَشْغَلَهَا بِالصَّرَاعِ مَعَ الْحَرَكَاتِ الْقَوْمِيَّةِ وَالشُّيُوعِيَّةِ. فِي ظِلِّ هَذَا الظَّرْفِ التَّارِيخِيِّ تَأَسَّسَتْ حَرَكَةٌ فَتْحَ عَلَى يَدِ رِجَالٍ كَانَتْ غَالِبِيَّتَهُمْ مِنَ الْجَمَاعَةِ، وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَعودُوا يَرُونِ فِيهَا سَاحَةً لِلْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ فِلَسْطِينَ، فَكَانَ عَمَلُهُمْ مَنفِصَلاً عَنِ تَنْظِيمِ الْإِخْوَانِ لَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَبَادئِهِ، كَمَا تَأَسَّسَتْ فِي نَفْسِ الْفَتْرَةِ حَرَكَةُ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِ الَّتِي تَمَاهَتْ مَعَ النَّاصِرِيَّةِ وَتَبَيَّنَتْ الدِّفَاعَ عَنِ عَبْدِ النَّاصِرِ وَسِيَاسَاتِهِ، ثُمَّ انْبَثَقَتْ عَنْهَا بَعْدَ هَزِيمَةِ حَزِيرَانَ 1967 الْجَبْهَةُ الشَّعْبِيَّةُ لِتَحْرِيرِ فِلَسْطِينَ، الَّتِي أَخَذَتْ بِتَبْنِيِ الْفِكْرِ الْمَارْكَسِيِّ.

لَنْ نَسْتَطِرِدَ هُنَا فِي سَرْدِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، وَلَكِنَّا نَزِيدُ التَّأَكِيدَ عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ الْإِنْفِصَامَ بَيْنَ الْوَطَنِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ نَشَأَ فِي ظِلِّ ظُرُوفٍ وَخِلَافَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ نَاجِماً عَنِ صَّرَاعٍ حَوْلِ الْإِسْلَامِ نَفْسِهِ، خُصُوصاً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحِكْمَةِ فَتْحِ الَّتِي شَكَّلَتْ الْعُمُودَ الْفَقْرِيَّ لِمَنظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ مِنْذُ الْعَامِ 1969.

## ملاحظات منهجية وأساسية

بدايةً ينبغي الإشارة إلى مشكلة منهجية تواجه الباحث في دراسة مواقف الحركات الإسلامية الفلسطينية من القضايا الفكرية والتحليلية، فباستثناء حركة الجهاد الإسلامي وحزب التحرير لم تقدّم حركة حماس أطروحات فكرية ومنهجية واضحة، واعتمدت على مبادئ عامّة تركت دون

توضيح نظري أو بحث تفصيلي، ولم تبلور منهجاً أو فكراً نظرياً سياسياً محدداً وواضحاً منذ بداية نشوئها،<sup>1</sup> بل أخذ فكرها وخطابها السياسي حول فلسطين يتبلوران ويتشكلان بصورة أساسية بعد انطلاقتها أواخر عام 1987،<sup>2</sup> وعبر نشاطها وعملها خلال صراعها مع العدو الإسرائيلي خلال الانتفاضة وعقب توقيع اتفاقات أوسلو وقيام السلطة الوطنية الفلسطينية على أراضي قطاع غزة وأجزاء من الضفة الغربية، وتبلور فكرها أيضاً نتيجة لعلاقتها مع الحركات الوطنية والإسلامية الأخرى، مثل حركة فتح وحركة الجهاد الإسلامي. والمؤكد لأي باحث في نشوء وتطور حماس أنّ فكرها السياسي قد استجاب في الغالب لما طرحته هذه الحركات من أسئلة وتحديات أمامها، وهو أمر يمكن لنا وضعه في إطار ما يؤكد الباحث باسم الزبيدي من أن حركة حماس هي بالأساس حركة سياسية تشترك مع المتغيرات التي تحيط بها، فهي متحركة وذات فكر متغير، وتتأثر بالبيئة المحيطة بها كما تؤثر فيها.<sup>3</sup> فالباحث مطالب هنا بالتتبع الدقيق لمسار الحركة الفكري، وتجنب الانزلاق نحو التعميمات الفجة والتوصيفات الدعائية، سلباً أم إيجاباً، الخالية من الدقة العلمية والبحث الموضوعي.

أما المشكلة المنهجية الثانية فتتمثل في أنّ مواقف قيادات ورموز حركة حماس لم تكن دائماً متطابقة ومتشابهة، بل كان هناك تباينات واختلافات واضحة. والباحث في فكر الحركة سيعثر بالتأكيد على مواطن من التناقض في الخطاب، ومن عدم الوضوح في الرؤية والطرح،

---

<sup>1</sup> كان الشيخ أحمد ياسين، أهم مؤسس للحركة، يقول "أنا كرست حياتي للعمل وليس للكتابة. وحياتي كلها كانت تطبيقاً لما أقرأ ولما أتعلم." راجع كتاب اليافاوي، محمد، الشيخ الشهيد أحمد ياسين عظمة العطاء وروعة الشهادة، دار الإباء للنشر والتوزيع، القدس، 2004، ص. ط؛ وكتاب شماخ، عامر، أحمد ياسين شهيد أيقظ أمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2004، ص. 96. وقد لاحظ جواد الحمد وإياد البرغوثي محررا كتاب دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس 1987 - 1996 (مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 1996، ص. 13-14) أنه "ليس لقيادي حماس إسهام مميز في الكتابة والتنظير في فهم الحركة وفلسفتها على شكل دراسات وكراسات منشورة. لذا فإن الحركة لم تتناول في أدبياتها (على الأقل حتى تاريخ نشر الكتاب) "لبعض مفردات الصراع الفكرية، مثل مسألة الصهيونية واليهودية، ومسألة التفاوض مع إسرائيل، وتصورات الحركة لحل سياسي مرحلي أو شامل".

<sup>2</sup> لا يعني هذا بأية حال أن حماس كانت حين تأسيسها تفكر كليا لخلفية نظرية، وأنها كانت خالية تماماً من أي طرح فكري منهجي، فهي باعتبارها امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين استندت في بلورتها لقواعدها النظرية العامة وفكرها السياسي لأدبيات جماعة الإخوان المسلمين، واستمدت من الخطاب السياسي والفكري الذي كان يطرحه الإخوان المسلمون الفلسطينيون في أنشطتهم الجامعية والنقابية. كما استفادت الحركة مما تمّ تعديده في المؤتمر التأسيسي (السري) الذي عقد في تشرين الأول/أكتوبر 1983، أو عند تشكيل جهاز فلسطين سنة 1985. ولا تتناقض هذه الرؤية مع القول أن فكر حماس السياسي قد تبلور ونضج مع مرور الزمن كما يحدث مع باقي الحركات الأخرى.

<sup>3</sup> الزبيدي، باسم، حماس والحكم: دخول النظام أم التمرد عليه، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، رام الله، 2010، ص. 9.

وسيجد تباينات في رواية الأحداث المتعلقة بالحركة من قبل قادتها ومؤسسيها. لذا فإنّ المنهج السليم في تحليل مواقف حماس وقادتها يجب أن يأخذ بعين الاعتبار تأثيرات عامل الظرف الزمني والمكاني، وتأثيرات العامل الذاتي المتعلق بهؤلاء القادة، وهي عوامل فرضت آراء مختلفة حول وقائع هي بذاتها متغيرة، وحول أحداث سياسية مختلفة متلاحقة ومركبة في مضامينها وخلفياتها.

## ثوابت موقف الإسلاميين من القضية الفلسطينية

تحظى قضية فلسطين باهتمام كبير لدى الحركات الإسلامية، وهي بالنسبة لأغلب هذه التيارات القضية المركزية للعالم الإسلامي. ويمكن إجمال الثوابت والمبادئ التي تطرحها الحركات الإسلامية الثلاث، الإخوان/حماس، وحزب التحرير، وحركة الجهاد الإسلامي، بالنقاط التالية:

1. ترى الحركات الإسلامية أنّ الصراع مع إسرائيل والغرب في جوهره صراع يستند للاختلاف الديني والثقافي، وللصراع التاريخي، بين الإسلام والغرب، وحركات المقاومة العربية والإسلامية هي تعبير عن رفض الهيمنة الثقافية والسياسية الغربية، وبداية للنهوض العربي والإسلامي. اندمج المسلمون في حركات المقاومة للاستعمار، ولم تنفصل مواقفهم السياسية عن موقفهم من الصراع الثقافي، فهم متمسكون بالتراث العربي-الإسلامي، وبالهوية الإسلامية للعرب وفلسطين.
2. ترى الحركات الإسلامية أنّ لا تنازل عن أي شبر أو جزء من فلسطين من نهرها إلى بحرها، ومن شمالها إلى جنوبها، مهما كانت الأسباب والظروف والضغط، فهي أرض الشعب الفلسطيني ووطنه وحقه المشروع، وهي أرض عربية إسلامية، انتماؤها عربي إسلامي، وهي أرض مباركة مقدسة، لها مكانتها الكبرى في قلب كلّ عربي ومسلم، ولها مكانتها الكبرى كذلك لدى كل الأديان السماوية.
3. تصرّ الحركات الإسلامية على أنّه لا مجال للاعتراف بـ"إسرائيل" ولا بشرعية وجودها على أي جزء من فلسطين مهما طال الزمن، ولا بشرعية احتلالها للأراضي الفلسطينية، وبالتالي فإنّ تحريرها من الصهاينة واجب شرعي على أهل فلسطين وعلى كل العرب والمسلمين، فهو واجب

وطني وقومي وإسلامي. يشير خالد الحروب، المحرر السابق لمجلة حماس فلسطين المسلمة، بهذا الصدد إلى أنّ الإسلاميين بكافة توجهاتهم في فلسطين يتفقون "على أنّ مشروع التحرير هو مشروع أمة وليس مشروع تنظيمات ابتداءً، وإذا كان الواجب الشرعي والعملي يستوجب استنهاض عزائم ومقدرات الأمة كلها تجاه هذا المشروع، فمن باب (أوجب الواجب) أن يتم توحيد الجهد الجهادي الإسلامي في فلسطين، إن لم يكن بالوحدة التنظيمية فلا أقل من وحدة الممارسة".<sup>4</sup>

4. وترى أنّ تحرير فلسطين يكون عن طريق الجهاد والمقاومة المسلحة، وطريق الجهاد هي الطريق الصحيح والحقيقي للتحرير، ولإستعادة كافة الحقوق، ومعه بالطبع كافة أشكال النضال السياسي والدبلوماسي والإعلامي والجهادي والقانوني؛ مع ضرورة حشد كلّ طاقات الأمة في المعركة، واستجماع عوامل القوة لديها.

5. وترى حركتي حماس والجهاد أنّ الحرب مع اليهود ليست لكونهم يهوداً، إنما هي ضد اليهود الصهاينة المحتلين المعتدين.

6. تتمسك الحركات الإسلامية بحق العودة للاجئين والنازحين الفلسطينيين إلى ديارهم التي أُخرجوا منها، أو منعوا من العودة إليها، سواء في المناطق المحتلة سنة 1948 أم سنة 1967، أي إلى كل فلسطين، ورفض التنازل مطلقاً عن هذا الحق. وفي الوقت ذاته رفض كلّ مشاريع التوطين والوطن البديل.

لا بدّ لنا هنا من التنويه إلى أنّ تأكيد الحركات الإسلامية الفلسطينية على هذه الثوابت في خطابها السياسي لم يأت متوافقاً دائماً مع سلوكها على أرض الواقع، فقد فرضت الوقائع والأحداث والتغيرات الدولية والعربية عليها تبني مواقف مخالفة لهذه الثوابت، وبالأخص نتيجة لحاجتها للتحالف مع قوى إقليمية لا تتبنى الثوابت الفلسطينية، بل تتبنى سياسات واقعية تسمح بها موازين القوى التي تحكم علاقاتها مع القوى العظمى، فحماس تقيم علاقة تحالف مع تركيا التي تربطها بإسرائيل وأمريكا علاقات استراتيجية وتجارية قوية، والجهاد الإسلامي متحالفة مع إيران وسوريا اللتان لا تستطيعان رفض إمكانية تسوية للسياسية للصراع مع إسرائيل بناءً على ميزان القوى الدولي الذي لايسمح بإزالة إسرائيل من الوجود وتحرير كامل التراب الفلسطيني.

<sup>4</sup> الحروب، خالد، الإسلاميون في فلسطين مواقف - قراءات - وقضايا أخرى، دار البشير، عمان، 1994.

## مواقف الحركات الإسلامية الفلسطينية

أولاً: الإخوان المسلمون وحماس

لا شك أنّ الإعتقاد الراسخ لدى جماعة الإخوان المسلمين هو أنهم هم من سيحرر فلسطين، وهم الأقدر على ذلك من غيرهم من الحركات. وقد استند هذا الاعتقاد على إيمان الإخوان بأنّ الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي تستطيع تحرير فلسطين، وأنهم هم الحركة الوحيدة التي تتبنى الإسلام تبنياً صحيحاً، فهم الأكثر قبولاً من المسلمين، وفكرهم هو الأكثر فاعلية وقوة، لذا فهم الأقدر على قيادة الأمة الإسلامية للتحرير. ويشرح القيادي الإخواني السابق عبد الله أبو عزة في مذكراته كيف نظر الإخوان للقضية الفلسطينية في فترة الخمسينيات، وينقل طرح الإخوان البديل لأطروحات الحركات الوطنية والقومية واليسارية الفاعلة آنذاك، وهو يقوم على مضاعفة الجهد في نصرة دعوتهم ورفع شأن حركتهم، لأن حركة الإخوان حين تنتصر هي التي ستحرر فلسطين، وعندما يأخذ الإخوان أهبتهم للتحرير فلن يكون الفلسطينيون وحدهم المضطلعين بالمهمة بل ستشاركهم الأمة الإسلامية في كل أقطارها، وهذه المشاركة لن تكون على سبيل المعاونة والمساعدة بل ستكون على سبيل تأدية الواجب المقدس على كل فرد مسلم في إنقاذ أولى القبليتين وتطهير أرض الإسراء والمعراج من دنس الصهيونية الآثمة.<sup>5</sup> وحسب أدبيات الجماعة، فإنّ الإخوان هم "الجهة الوحيدة القادرة على انتزاع القضية من أيدي المتهاونين والمتخاذلين، وعلى الصمود والجهد والصدق في البذل والصبر على العمل الدائب البصير."<sup>6</sup>

وحسب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر، د. محمد بديع، فإنّ جماعته حملت همّ الأمة كي تنهض من سباتها منذ سقوط الخلافة الإسلامية، مروراً بمخططات الأعداء التي لم تقف على مرّ السنين كي تنقض على مقدرات أمتنا الإسلامية وتنهب ثرواتها، وجرح فلسطين لم يزل ينزف دماً ويسقط شهداء منذ سنة 1948 وحتى الآن؛ وترى الجماعة أنّ العدو الصهيوني هو رأس الحربة أمام مشروع الإخوان الإسلامي لتحرير الأمة العربية والإسلامية، فالمعركة الأساسية هي مع هذا العدو، ودعم الإخوان للمقاومة "بكل أشكالها في فلسطين هو خط الدفاع

<sup>5</sup> راجع عبد الله أبو عزة. مع الحركة الإسلامية في الدول العربية. الكويت: دار القلم، 1986، ص 86.

<sup>6</sup> أبو عمرو، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة: الإخوان المسلمون الجهاد الإسلامي، دار الأسوار، عكا، 1989، ص. 51.



الأساسي عن مشروعنا وأمننا القومي".<sup>7</sup> ويوضح بديع موقف الإخوان المبدئي من القضية الفلسطينية: "نحن من جانبنا نؤكد أن جماعة الإخوان المسلمين لا تقبل بأي حال من الأحوال التفريط في أي شبر من أرض فلسطين، وأن الكيان الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين الحبيبة حتماً إلى زوال، نؤكد لكم ثبات موقفنا أننا لم ولن نعتزف بالكيان الإسرائيلي". وأكد أن "مشروعنا لتحقيق النهضة لأمتنا العربية والإسلامية أمامه تحديات كبيرة ومهمة فهذا العدو هو الداعم لكل استبداد وقهر ويتحالف معه كل كاره للحرية والعدالة، ومع ذلك فالأهم أن نعد أنفسنا وكوادرننا لكي نقود أمتنا في هذه المعركة وأن نحقق العدالة والحرية".

نشأت حركة حماس عن الإخوان المسلمين، وهي عضو في التنظيم الدولي للإخوان الذي يشرف على نشاطات الجماعة في كافة أنحاء العالم، وهي تعمل بموجب قرارات وتوجهات هذا التنظيم. وتركز حماس أملها في تحرير فلسطين على نجاح الحركة الأم في الوصول إلى سدة الحكم في واحدة أو أكثر من الدول العربية المحيطة بإسرائيل، وبالتالي تهيئة الجغرافيا اللازمة لقتال إسرائيل، وتهيئة الظروف العسكرية لذلك. ولحين تحقيق مثل هذا الهدف تقوم حماس بالجهاد ضد إسرائيل، وبدعم صمود الفلسطينيين على أرضهم، ومنع إسرائيل من تحقيق أهدافها في التوسع على أرضهم وطردهم خارجها. فحماس تبني رؤيتها على قدرات جماعة الإخوان التي نشأت من أجل النهوض بالأمة وإعادتها لمجدها التاريخي المفقود.

بيد أنّ حماس أثناء انتظارها لانتصار الإخوان تعمل بما تستطيع في حقل الجهاد ضد إسرائيل. وكما الإخوان المسلمون، فإنّ حماس لا ترى مفراً من التعامل مع النظام القطري العربي، بما يتضمنه ذلك من مخاصمته والصراع معه أحياناً أو محالفته والتفاهم معه أحياناً أخرى، ولذا نرى العلاقات الواسعة التي أقامتها حماس مع الدول العربية المختلفة، والتي تستند في غالبيتها لعلاقات جماعة الإخوان مع هذه الدول. وطبيعي أنّ العلاقة مع النظام القطري العربي تقتضي أحياناً إطلاق تصريحات يبدو من ظاهرها القبول بحل الدولتين على حدود 1967، كما فعل خالد مشعل مثلاً، ولكن هذا يأتي في إطار المناورة السياسية، ولا يعكس تغييراً في المواقف المبدئية للحركة.

<sup>7</sup> خلال خطابه في المؤتمر الذي عقده مركز الزيتونة للدواستات والاستشارات في بيروت في 28 و 29 تشرين الثاني 2012 تحت عنوان "الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية في ضوء التغيرات والثورات العربية".

يرتبط إذاً موقف حماس السياسي في الموضوع الفلسطيني من وضع الإخوان المسلمين في العالم العربي، فهي تقبل ما يقبلونه وترفض ما يرفضونه، وهي ترسم سياستها بناءً على ما يستطيعون تحقيقه في العالم العربي والإسلامي. ومن هنا يأتي طرح الهدنة المؤقتة مع إسرائيل، باعتباره تأقلاً مع الواقع العربي والإسلامي والإخواني، العاجز حالياً عن إلحاق الهزيمة بأمريكا وإسرائيل، ولكن في نفس الوقت لا يمكن اعتبار هذا الطرح خروجاً عن الأهداف النهائية بالتحريك الكامل وبإزالة دولة إسرائيل من فلسطين.

وحسب خالد مشعل،<sup>8</sup> رئيس المكتب السياسي لحماس، فإنّ الحركة ترى أن فلسطين أرض واحدة، وجزء لا يتجزأ، ولا ينفصل واحد على الآخر، وأن تحرير فلسطين يكون أولاً، ثم يتبعه وجود الدولة الفلسطينية، فالدولة الحقيقية هي ثمرة التحرير؛ وأن المقاومة خيار استراتيجي لحماس، وأن غياب المقاومة عن الضفة الغربية ليس تغييراً في الأصل والمبدأ، ولكنها الضرورة الملجئة لشعبنا حيث الضغط الأمني من كل الاتجاهات. ويعد مشعل بأن المقاومة ستعود إلى الضفة الغربية، وأن دخول حركته السلطة الفلسطينية كان نتيجة لظروف استثنائية. أما عن دخول السلطة فقد اعتبر ذلك ضرورة لتغيير الدور الوظيفي للسلطة، لجعلها تجمع بين خدمة الشعب وبين دور المقاومة، فحماس تجمع السلطة والمقاومة، مشدداً على أن الموافقة على دولة على حدود 1967 لا يلفت حركته عن هدف تحرير كامل فلسطين.

ويعتبر الإخوان المسلمون وحركة حماس أنّ الموافقة التي أعلنتها الحركة على قيام دولة فلسطينية على حدود عام 1967، ورغم قلق البعض بأن هذا مقدمة للسير على نهج التسوية، هو أحد ضرورات توحيد الموقف الفلسطيني وكذلك الموقف العربي على برنامج يجمع قواسم مشتركة يلتقي عليها الجميع بصرف النظر عن تفاوت البرنامج الخاص بكل طرف. وهذا ما أملى على حركة حماس أن تذهب إلى هذا الموقف السياسي، "ما دام ذلك ليس على حساب بقية الأرض الفلسطينية، ولا يتضمن تقريظاً بأي حق أو جزء من أرضنا، ولا يتضمن أي اعتراف بـ"إسرائيل".<sup>9</sup>

<sup>8</sup> خلال خطابه في المؤتمر الذي عقده مركز الزيتونة للدواستات والاستشارات في بيروت في 28 و 29 تشرين الثاني 2012 تحت عنوان "الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية في ضوء التغيرات والثورات العربية".  
<sup>9</sup> خطاب محمد بديع في مؤتمر الزيتونة 2012.

ولنا بهذا أن نفهم "سياسة" حماس عقب وصول الإخوان المسلمين للحكم في مصر وتونس وسعيهم للوصول إليه في سوريا، وكيف أدى هذا إلى التغيير في تحالفاتها ومواقفها السياسية. ولنا أن نفهم أيضاً قواعد التحالفات الإقليمية التي قامت بها الحركة خلال نشاطها على الساحة العربية، فهي تحظى بدعم دولتي قطر وتركيا نتيجة لتحالف هاتين الدولتين مع جماعة الإخوان المسلمين، وقد نجم عن هذا أولاً ابتعادها بعد الأزمة السورية عن محور المقاومة الذي يضم لجانب سوريا إيران وحزب الله، ونجم عنه ثانياً وقوعها في دائرة الغضب والقطيعة السعودية والإماراتية، المتنافرتان مع قطر وتركيا، والسعودية كانت لعهد قريب على علاقة وثيقة بالإخوان المسلمين وحماس، وهي من رعى اتفاق المصالحة بينها وبين حركة في مكة المكرمة، كما أدى ثالثاً إلى خلق تباين في المواقف السياسية والعسكرية بينها وبين حركة الجهاد الإسلامي، والتي زادت قوة الدعم الإيراني والسوري لها بعد تغير العلاقة مع حماس.

لقد ظهر تغير كبير في الخطاب السياسي لحركة حماس بعد تجربتها في حكم قطاع غزة، وهذه التجربة دفعتها باعتقادنا نحو برنامج سياسي يهتم بمعالجة الظروف الواقعية أكثر من اهتمامه بالشعارات المتعلقة بالحل الأمثل للقضية الفلسطينية. ففي مؤتمر الزيتونة سابق الذكر شدد خالد مشعل على وحدة الشعب الفلسطيني، ووحدة النظام السياسي، من خلال منظمة التحرير، وأشار إلى أن الانقسام بين فتح وحماس استثنائي، وطالب ببناء المؤسسات والمرجعيات على أسس ديموقراطية، وهذا يعكس استعداداً لقبول برنامج سياسي عملي مشترك بين القوى الفلسطينية المختلفة.

### ثانياً: حزب التحرير

يرجع تأسيس حزب التحرير للعام 1953، وقد أسسه في القدس القاضي الشرعي تقي الدين النبهاني بالاشتراك مع داود حمدان، ونمر المصري ومنير شقير، وعادل النابلسي، وعبد القديم زلوم وغانم عبده. وأخذ الحزب اسمه من ضرورة إنهاض الأمة الإسلامية من الانحدار الذي وصلت إليه، وتحريرها من أفكار الكفر وأنظمتها وأحكامه، ورأى أن هذا التحرير يكون "برفعها فكرياً عن طريق تغيير الأفكار والمفاهيم التي أدت إلى انحطاطها، تغييرات أساسية شاملة، وإيجاد أفكار الإسلام ومفاهيمه الصحيحة لديها، حتى تكيف سلوكها في الحياة وفق

أفكار الإسلام وأحكامه.<sup>10</sup> ورأى الحزب أيضاً أن قيام حزب سياسي إسلامي فرض شرعي بغية إنهاض الأمة الإسلامية من الانحدار الشديد الذي وصلت إليه، وبغية العمل على إعادة دولة الخلافة الإسلامية إلى الوجود.<sup>11</sup> وهذا الحزب هو تكتل المسلمين على أساس الإسلام وحده فكرة وطريقة، "ويحرم عليهم أن يتكتلوا على أساس رأسمالي أو شيوعي أو اشتراكي، أو قومي أو وطني أو طائفي أو ماسوني، لذلك فإنه يحرم عليهم إقامة أحزاب شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية أو قومية أو وطنية أو طائفية أو ماسونية، ويحرم عليهم الانتساب إليها."<sup>12</sup> وبهذا فقد افترق الحزب تماماً وبشكل قطعي عن أية حركة تتبنى الوطنية أو القومية، ومنها المنظمات الفلسطينية المختلفة التي تجمعت تحت إطار منظمة التحرير الفلسطينية.

على أن افتراق الحزب لم يكن فقط عن الحركات السياسية الوطنية والقومية الأخرى، بل افترق أيضاً عن جماعة الإخوان المسلمين، واعتبرها وسائر الحركات الإسلامية الإصلاحية عامة على غير الطريق السليم للنهضة بالمسلمين، فحسب الحزب فإن هذه الحركات تعاني من "عدم وضوح طريقة الإسلام لديهم في تنفيذ فكرة الإسلام وأحكامه وضوحاً تاماً، فحملوا الفكرة الإسلامية بوسائل مرتجلة، وبشكل يكتنفه الغموض وصاروا يرون أن عودة الإسلام تكون ببناء المساجد وإصدار المؤلفات، أو بإقامة الجمعيات الخيرية والتعاونية، أو بالتربية الخلفية وإصلاح الأفراد، غافلين عن فساد المجتمع، وسيطرة أفكار الكفر وأحكامه وأنظمتها عليه، ظانين أن إصلاح المجتمع إنما يكون بإصلاح أفكاره ومشاعره وأنظمتها وإصلاحها سيؤدي إلى إصلاح أفراد."<sup>13</sup>

لذا يمكن القول أنّ حزب التحرير قد طرح نفسه حين تأسس سنة 1953 بديلاً عن حركة الإخوان المسلمين من أجل إعادة الخلافة الإسلامية، وتحرير البلاد الإسلامية من الهيمنة الاستعمارية الغربية، ونتيجة لذلك فقد تبلور خلال السنين خلاف نظري وسياسي وعملي بين الحزب وبين جماعة الإخوان المسلمين، وطبع تاريخ الحزب منذ تأسيسه ولاحقاً بطابع الصراع

<sup>10</sup> كما جاء في كتاب نشره الحزب بعنوان "حزب التحرير"، د. د. ن، د. ت. ن، د. م. ن، ص 12.

<sup>11</sup> المصدر نفسه، ص 6.

<sup>12</sup> المصدر نفسه، ص 11.

<sup>13</sup> المصدر نفسه ص 15-16.

السياسي مع الحكم الأردني والصراع الفكري مع جماعة الإخوان المسلمين، والتي احتفظت بعلاقات حسنة عموماً مع النظام.<sup>14</sup>

إنّ هذه الخلفية الفكرية والسياسية قد دفعت حزب التحرير في فلسطين نحو الابتعاد عن حركات المقاومة الوطنية والإسلامية، فلم يشهد تاريخ الحزب أيّ نوعٍ من التفاهم أو التوافق أو التعاون بينه وبين أي حركةٍ أخرى، إسلاميةً كانت أم وطنية أم قومية، وأدبيات الحزب مليئة بالتعبير عن الاختلاف بينه وبين حركة حماس وأنشطتها، ونحو عدم الثقة بسياساتها ومواقفها، وتوجيه الانتقادات المستمرة لها، ولم يعترف الحزب بحكومة حماس بغزة<sup>15</sup>، وكرر في بياناته وخطابه السياسي مطالبته الحركة بالالتزام بالنهج الذي يعتقد هو أنه الطريق الوحيد الصحيح لتحرير فلسطين، وهو طلب النصر من جيوش الأمة الإسلامية وإقامة الخلافة ومن ثمّ تحرير فلسطين. وقد أدت هذه المواقف إلى حدوث بعض حوادث الصدام بين أنصار حزب التحرير وبين حكومة حماس في غزة حين أراد هؤلاء الأنصار إقامة مهرجانات عامة ولم تسمح لهم الحكومة بذلك.

يمتاز طرح حزب التحرير برفض الوطنية والقومية والدولة القطرية، ولا يجد أي اتصال بينها وبين الإسلام، ويدعو لاستبدالها بالخلافة الإسلامية التي تضم كل المسلمين. والحزب لا يعترف بأية هوية عدا الهوية الإسلامية. في طرحه على ضرورة استعادة الخلافة الإسلامية أولاً كخطوة ضرورية وأساسية من أجل العمل على تحرير فلسطين، لأنّ تحرير فلسطين هو جزء من تحرير الأمة الإسلامية كلّها من الخضوع لهيمنة الغرب، الذي يطلق عليه الحزب نعت "الكافر المستعمر"، ولا يتمّ هذا التحرير الكلّي إلاّ بإعادة نظام الخلافة، وفور تحقيق ذلك يقوم الخليفة بتجهيز جيش التحرير وإعلان الحرب على إسرائيل. لذا لا يقبل الحزب بأي شكل من أشكال التفاوض مع إسرائيل، أو الاعتراف بها وعقد الصلح الدائم معها، أو عقد هدنة بفترة زمنية محددة بدلاً من الصلح الدائم.

<sup>14</sup> لتفاصيل واسعة حول صراع الحزب مع الحكم الهاشمي في الأردن رابع كتاب أمنون كوهين: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949-1967، تعريب خالد حسن، مطبعة القادسية، القدس، 1988.

<sup>15</sup> بتاريخ 26 حزيران 2012 صرح عضو المكتب الاعلامي لحزب التحرير الاسلامي في فلسطين الدكتور ماهر الجعبري خلال البرنامج التلفزيوني "أكثر من سؤال" الذي يبث عبر قناة "ميكس معا" أن حزبه لا يعترف بشرعية السلطة الفلسطينية تحت الاحتلال، سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة. لمشاهدة المقابلة راجع الموقع الإلكتروني:

<http://www.loblab.com/item.aspx?itemid=26162>

والحزب ضمن هذه الرؤية غير مستعد للمساهمة في أي نشاط سياسي يصرف الأمة عن هدف إقامة الخلافة، ويعتبر أنّ أي مسعى آخر غير مسعى تحقيق هذا الهدف مضيعة للوقت ولن يؤتي الثمار المطلوبة بالتحجير. ويأتي مع هذا الطرح رفض الحزب للدولة القطرية العربية، التي هي، حسب اعتقاده، صنيعة "الكافر المستعمر"، كما تأتي المناداة بإسقاطها، لأنّ وجودها بذاته هو حائل دون استعادة الخلافة، فهي دولة تجزئة وليست دولة وحدة، وهي رغم ادعائها الاستقلال ما زالت مرتبطة بالاستعمار، الذي هدم الخلافة وأقام إسرائيل، وما زالت تنفّذ سياساته وأهدافه في العالم الإسلامي. وبالتالي فإنّ النخب الحاكمة في الدول القطرية هي نخب خائنة لقضايا الأمة، وغير مؤهلة للدفاع عنها وعن ثرواتها.

ولعلّ في هذا الإيجاز لموقف حزب التحرير ما يوضّح حماسة الحزب لتغيير النظام السوري، ومشاركة أعداد من شبابه في مقاتلة النظام، وتحالفه مع جبهة النصر، في حين أنّه لم يطلق طلقةً واحدة ضد إسرائيل منذ تأسيسه وحتى الآن. فاعتقاد الحزب راسخ بأنّ تغيير الأنظمة القطرية سيقود لإقامة الخلافة التي هي الشرط الأساسي لتحرير فلسطين.

يبقى طرح حزب التحرير الذي في الشأن الفلسطيني طرحاً نظرياً، إذ لم يبلور أية خطوات عملية، ولم يحدث أية تأثيرات على مجمل القضية الفلسطينية، كما أنّ الحزب بأطروحاته الفكرية والسياسية لا يمكن أن ينسجم مع أي برنامج وطني وإسلامي فلسطيني، لذا لا نرى أنّ هناك إمكانية لدمجه في عمل مشترك مع الحركات والقوى الفلسطينية، ولا يمكن النظر إليه إلاّ كجهة دعائية ترفض كل شيء وتقول الكثير ولكنها لا تفعل أي شيء.

### ثالثاً: الجهاد الإسلامي

تركّز حركة الجهاد الإسلامي، والتي نشأت تاريخياً كتجاوب فلسطيني مع الثورة الإسلامية في إيران، فكرها حول نهوض الأمة، وانتصار "الثورة الإسلامية" في العالم الإسلامي، وهي ثورة ضد الغرب الامبريالي وصنيعته إسرائيل وحلفائه من الأنظمة العربية، لذا فالحركة في قطيعة مع الأنظمة العربية التي تسير في الفلك الأمريكي، وهي ذات الأنظمة التي تدعم التسوية مع إسرائيل. والحركة تعتبر نفسها جزءاً من هذه الثورة الإسلامية، وهي عملياً أول من باشر من الحركات الإسلامية الفلسطينية في مقاتلة إسرائيل، وقد اعتمدت على الدعم الذي تقدّمه دولة

إيران الإسلامية للجهاد ضد إسرائيل، وهي تؤمن بأن هذا الجهاد سيبلغ مبتغاه حين ينتصر مدّ الثورة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وتصبح الأمة قادرة على مواجهة الغرب وربيبته إسرائيل مواجهةً حاسمة.

ترفض حركة الجهاد الإسلامي أي شكل من أشكال الاعتراف بإسرائيل، وأي سعي للتصالح والتفاهم معها، ولا ترى في أطروحة الدولة الفلسطينية على حدود عام 1967 سوى تنازلاً عن فلسطين المحتلة عام 1948، وتخلياً عن فلسطينيي الشتات، وركضاً وراء الأوهام، لأن طبيعة الفكر الصهيوني، وأساطيره الدينية، لا تسمح لقيادته السياسية بتقديم أية تنازلات للفلسطينيين، مهما كانت ضئيلة. لذا فحركة الجهاد لم تشارك في انتخابات السلطة الوطنية، ولا في أي من مؤسساتها، ولا ترى أن منظمة التحرير قد فعلت صواباً حين قبلت بمبدأ التسوية السياسية وتخلّت عن المواجهة مع إسرائيل.

أما حول شكل الدولة التي ترى حركة الجهاد الإسلامي قيامها في فلسطين المحررة، فصحيح أنّ الحركة تعتبر من أهدافها إقامة دولة تحكم بالشريعة الإسلامية في فلسطين، إلاّ أنّها لا تعتبر هذا الأمر مسألة ذات أهمية كبيرة، وهي لا ترى طرحها للنقاش والبحث قبل تحقيق هدف التحرير، كما أنها لا تعتبر إقامة الخلافة الإسلامية شرطاً ضرورياً لمقاتلة إسرائيل والجهاد ضدها.

وحركة الجهاد الإسلامي فصيل مسلح يؤمن بعملية الجهاد لتصفية الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية تصفيته كمشروع إمبريالي يستهدف واقع الأمة الإسلامية والعربية لا يؤمن بأي حلول سلمية للصراع تحفظ للكيان الصهيوني وجود على أرض فلسطين لا يؤمن بعمليات الهدنة مع إسرائيل ولا يؤمن بالمنهاج العلماني كوسيلة ناجعة لتحرير فلسطين ويعبر عن هذا الفصيل جناحه العسكري سرايا القدس وهو يؤمن بتراكمية التجربة الإسلامية في الجهاد بدأ من عمر المختار ، وعز الدين القسام ، وعبد القادر الحسيني ، وطلائع الإخوة المسلمين في نضالهم ضد الغزو الصهيوني بالمنطقة العربية .

التزمت حركة الجهاد الإسلامي بالمنهج الفكري لمؤسسها الشهيد فتحي الشقاقي، واعتبرت أن الصراع مع الغرب الاستعماري ومع الصهيونية وإسرائيل هو القضية المركزية أمام

العرب والمسلمين والفلسطينيين، وهي ترفض بالتالي التخلي عن تحالفها مع القوى المناهضة للعدو الأمريكي والإسرائيلي، وعلى رأسها الجمهورية الإسلامية في إيران والنظام السوري، وقد بنت تحالفاً إقليمياً قوياً معهما ومع حزب الله اللبناني، واعتمدت على دعم هؤلاء الخلفاء في نشاطها العسكري في قطاع غزة ضد إسرائيل. والحركة ترفض أي تحالف مع القوى العربية الموالية لهذا العدو، ورغم أنها مثلاً تؤيد مطالب الشعب السوري الحالية بالإصلاح والتغيير إلا أنها لا ترى أن يكون هذا الإصلاح بالعنف، ولا أن يؤدي لخدمة أمريكا وإسرائيل.

وحسب الأمين العام الحالي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، د. رمضان شلح، في مؤتمر الزيتون المذكور سابقاً، فإن ثوابت القضية من وجهة نظر الحركات الإسلامية تتلخص بـ"فلسطين آية من الكتاب [القرآن الكريم]"، وفلسطين شعب واحد، وقضية واحدة، وهدف واحد، وبرنامج واحد. وأن الكيان المقام على أرض فلسطين كيان باطل، في كل قراراته ومعاهداته، والصراع معه صراع حضاري شامل، وأن القدس عنوان القضية الفلسطينية، وأن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين مقدس، مؤكداً رفض تقسيم الأرض وتجزئة القضية، وفلسطين تعني الكثير، فهي قضية مركزية للأمة، وذلك يعني أن الأمة لن تقوم لها قائمة طالما بقي الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. وهدف الأمة هو تحرير فلسطين، كل فلسطين، من المقاومة والجهاد والإعداد، فباب الصراع مفتوح حتى يهبئ الله النصر للأمة لاستعادة فلسطين. وترفض حركة الجهاد التعاطي مع مصطلح "التسوية" لأن الشعب الفلسطيني باعتقاده اعتاد سياسة المقاومة، وهي تعتبر أنه لم يعد هناك رهان على التسوية السلمية، ولن تعود فلسطين إلا عبر المقاومة.

رغم هذا الطرح الجذري من قبل حركة الجهاد الإسلامي فإنها، باعتقادنا وبناءً على قراءتنا لتاريخها ولعلاقاتها بحركتي فتح وحماس، لن ترفض التعاون مع أي برنامج فلسطيني يجمع القوى الفلسطينية حول مقاومة الاحتلال والتصدي لسياساته، رغم وجود اختلافات في مجالات سياسية أخرى، فهي تميل لقبول التعاون الميداني معهما بدلاً من التركيز فقط على الخلاف السياسي، والحركة غضت النظر عن خلافها مع حركتي فتح وحماس حين لعبت دور الوسيط من أجل إتمام مصالحة فلسطينية حقيقية، رغم أن هذه المصالحة لن تلغي انقاف أو سلو الذي تعارضه الحركة بشدة وترفض العمل تحت أي من منتجاته ومؤسساته.



## رؤية الحركات الإسلامية الفلسطينية لإمكانية التسوية السلمية-السياسية للصراع ومواقفها من اتفاق أوسلو

ثمة ثلاث قضايا أساسية يمكن من خلالها توضيح الموقف المبدئي المشترك للحركات الإسلامية الفلسطينية من إمكانية تحقيق تسوية سلمية-سياسية دائمة للصراع العربي الصهيوني، وهذه باختصار:

أولاً، إنّ الطرح الواضح في أدبيات الحركات الإسلامية الفلسطينية هو أنّها لا تعترف، وليست على استعداد للاعتراف، بشرعية دائمة أو حتى مؤقتة لدولة إسرائيل على أية جزء من الأرض الفلسطينية، وهي رغم استعدادها للقبول بوجود يهودي في فلسطين، على اعتبار أنّ مثل هذا الوجود كان قائماً في العهود الإسلامية التي عاشتها فلسطين، وعلى اعتبار أنّ اليهودية ديانة وليست قومية، ليست على استعداد للقبول بكيان سياسي يهودي-صهيوني له سيادة على فلسطين، أرضاً وشعباً وموارد ومقدسات. إنّ التعايش مع السيادة الصهيونية على فلسطين، أو على أي جزء منها، مسألة غير واردة على الإطلاق في فكر الحركات الإسلامية، ويعدّ مثل هذا التعايش في أدبيات هذه الحركات كفراً وخروجاً عن العقيدة الإسلامية ونصوص القرآن الكريم التي أعلنت إسلامية هذه الأرض، وخيانةً لتاريخ وتراث الأمة الإسلامية التي فتح أجدادها هذه الأرض ورووها بدمائهم. والنتيجة المنطقية لهذا الطرح هو أنّ الحركات الإسلامية الفلسطينية لا تؤمن بإمكانية تحقيق تسوية سلمية-سياسية للصراع مع إسرائيل، يمكن اعتبارها نهايةً لهذا الصراع.

ثانياً، تنبثق من هذه القاعدة المستندة لاعتقاد ديني، إيمان الحركات الإسلامية الفلسطينية بأنّ مصير إسرائيل محسوم بقرار وتقدير ربّاني، فهي إلى زوال مهما طال الزمن، وهي لن تعيش أكثر ممّا عاش الغزاة السابقون. فلا يمكن بهذه الحالة التسليم بموازن القوى البشرية/الدولية، والتي هي حتّى الآن لصالح إسرائيل، لأنّ الأمور في النهاية بيد الله عزّ وجلّ، ولا يمكن لأية قوة بشرية أن تخرج عن إرادته تعالى وقدرته. ويشكّل هذا الاعتقاد الديني جوهر العقل الباطن للحركات الإسلامية والدافع الأساسي وراء رفض التسليم بإسرائيل كأمر واقع، ورفض السعي للتعايش معها، فحزب التحرير وحركة الجهاد الإسلامي، بناءً على الاعتقاد والإيمان الديني،

ترفضان أطروحات المدرسة الواقعية السياسية، وعلى رأسها السعي الفلسطيني الرسمي لتحقيق ما هو ممكن من خلال المفاوضات والشرعية الدولية بدلاً من الإصرار على الحلّ المثالي بعيد الإمكان، وتعتبران هذا استسلاماً للغرب وإسرائيل، وخروجاً عن الحق الفلسطيني الراسخ؛ في حين أخذ يظهر في الخطاب السياسي لقادة حماس بعد ثورات الربيع العربي نوعٌ من الاستعداد للتعاطي مع أطروحات المدرسة الواقعية كحل مرحلي لا ينطوي على التخلي عن الطرح النهائي القاضي بتحرير كامل فلسطين.

ثالثاً، لا تطرح الحركات الإسلامية الفلسطينية انتظار حدوث معجزة إلهية من أجل تحرير فلسطين، بل هي ترى أنّ السبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو الجهاد الذي تقوم به الأمة الإسلامية، وفي طليعتها الشعب الفلسطيني، ضد هذا الكيان الغاصب، وهو جهادٌ مستمرٌ، بناءً على حديثٍ للرسول محمدٍ (صلى الله عليه وسلم)، إلى يوم القيامة. أي أن الحلّ العسكري-الجهادي هو جزء من التعاليم النبوية التي لا يمكن الخروج عنها، أو الممارسة في حتمية حدوثها على أرض الواقع. وهذا الحلّ العسكري-الجهادي هو بالتأكيد نقيض التسوية مع إسرائيل والاعتراف بحقّ لها في فلسطين.

### الاختلاف بين الحركات الإسلامية الفلسطينية حول حل القضية الفلسطينية

على الرغم من الاتفاق بين الحركات الإسلامية حول القضايا الثلاث السابقة، إلا أنها تختلف في عدة تفاصيل، وهي تفاصيل واضحة لأي متابع لهذه الحركات ولمواقفها من القضية الفلسطينية، ومن مجمل التغيرات في العالم العربي: وأهم هذه الاختلافات يكمن في التصور المطروح لطرق تحقيق الحلّ الإسلامي للقضية الفلسطينية، وهل يمكن القبول بحلّ مرحلي مؤقت (وهو ما عبّرت عنه حماس بالهدنة) قبل التحرير الكامل لفلسطين من الاحتلال الإسرائيلي؟ ويأتي في سياق هذه المسألة الموقف من النظام القطري العربي، الذي تحكم نخبه العالم العربي وتقود صراعه مع إسرائيل والإمبريالية الغربية، فهل نقبل بهذا النظام القطري ونتعايش معه، أم نرفضه ونسعى لقلبه وتغييره؟

## خلاصات واستنتاجات

لدينا نوعان من الخلاف بين الحركات الإسلامية الفلسطينية والحركات الوطنية والقومية واليسارية، فهناك خلاف تشترك فيه جميع فصائل الطرفين، وهناك خلاف بين فصائل بعينها من كل طرف، دون أن يكون مشتركاً بين الجميع. ومن المسائل التي اختلفت فيها الحركات الإسلامية جميعها مع الحركات الوطنية أنّ الإسلامية قرنت قضية تحرير فلسطين بالتغيير الثقافي والاجتماعي في العالم العربي، واعتبرت أنّ المشكلة الفلسطينية هي إحدى ثمار الغزو الغربي الحديث للبلاد العربية والإسلامية، وأنّ سقوط الخلافة الإسلامية كان عاملاً أساسياً من عوامل قيام إسرائيل على الأرض الفلسطينية؛ واستنتجت هذه الحركات أنّ إعادة بناء الدولة الإسلامية والعودة إلى تطبيق أحكام وتعاليم الإسلام الأخلاقية والسلوكية مقدّمتا ضرورية لإعداد الأمة للمعركة الفاصلة مع إسرائيل وحلفائها في سبيل تحرير فلسطين، في حين لا تطرح الحركات القومية واليسارية هذا الإقران، واعتبرت أن الناس أحرارٌ في سلوكهم وفي القيم التي يختارونها، وأنّ المقاومة عملية عسكرية وسياسية لا علاقة مباشرة لها بالقناعات الدينية.

أيضاً ساد لدى الحركات الإسلامية اعتقاد بأنّ الفكر القومي والوطني انتشر في العالم العربي والإسلامي نتيجة لتأثير السياسة الاستعمارية الغربية، وبالتالي نظرت الحركات الإسلامية لنظيرتها القومية والوطنية على أنّها معيقةٌ للتحرر من الغرب لا معينةٌ عليه، وذهب حزب التحرير، على خلاف الحركات الإسلامية الأخرى، إلى اعتبار الروابط القومية والوطنية روابط كفر ومناقضة للرابطة الإسلامية. ولقد أدى هذا الموقف الفكري، بالإضافة للرأي السابق حول التغيير، إلى مقاطعة الإخوان المسلمين لمنظمة التحرير الفلسطينية لعهدٍ قريب وعزوفهم عن التعاون معها أو الاعتراف بها ممثلاً للشعب الفلسطيني، وهو موقفٌ تغيّر مؤخراً على أساس توسيع المنظمة وضم حركة حماس لها. بيد أن هذه النظرة للحركات القومية والوطنية قد أدت إلى اعتبار حزب التحرير للمنظمات الفلسطينية منظمات علمانية وغير إسلامية، واعتبار الانضمام إليها حراماً شرعاً، بل واعتبار تأسيس المنظمة مؤامرة من قبل أمريكا من أجل تصفية القضية الفلسطينية. لذا فإنّ موقف حزب التحرير يختلف جذرياً عن موقف حماس ولا يمكن التوفيق بين الموقفين.

إنّ الاختلافات بين حماس والجهاد من جهة، وبين الفصائل الوطنية من جهة ثانية لا تشكّل في جوهرها سبباً لإعاقة بلورة مشروع سياسي فلسطيني مشترك، يعالج الواقع الفلسطيني ومتطلبات الصمود في وجه مخططات الاحتلال الإسرائيلي، الهادفة لطرد الفلسطينيين من وطنهم، إذ يمكن لهذا البرنامج أن يتناول مسائل حيوية لا يمكن تأجيلها ويصوغ سياسة فلسطينية قادرة على تحقيقها، بغض النظر عن الهدف النهائي الذي تصر عليه حركتي حماس والجهاد والقاضي بتحرير كامل فلسطين، وهو هدف نشأت فتح من أجل تحقيقه، بيد أن قراءتها لمتغيرات الواقع العربي والدولي والفلسطيني دفعتها نحو قبول برنامج التسوية. أي أنّ فتح، وسائر الفصائل الفلسطينية، لن تقف في وجه تحقيق هذا الهدف في حالة وجود ظروف موضوعية تسمح به وتشير إلى إمكانية تحقيقه.

أما فيما يتعلق بحزب التحرير فإن الاستنتاج الأساسي لهذه الورقة حول هو أنّ إمكانية دمج في برنامج وطني-إسلامي مستحيلة، لأن الحزب لا يؤمن بنسبية الاجتهاد ويعتبر قراءته للتاريخ وللواقع السياسي قراءة مطلقة الصّحة، ولا يجوز له، حسب اجتهاده، أن يتخلّى عنها أو أن يحاول الاقتراب من الحركات الأخرى، الوطنية والإسلامية، والتي يعتبرها حركات منحرفة إسلامية أو كافرة فكرياً وعقائدياً.

## المصادر والمراجع

1. أبو عامر، عدنان، الحركة الإسلامية في قطاع غزة بين الدعوة والسياسة، مركز الاعلام العربي، القاهرة، 2006.
2. أبو عمرو، زياد، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة: الإخوان المسلمين والجهاد الإسلامي، دار الأسوار، عكا، 1989.
3. أمين، صادق، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 1978.
4. البابا، رجب حسن العوضي، جهود حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الانتفاضة الفلسطينية (1987-1994)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431 هـ، 2010 م.
5. البرغوثي، إياد، الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مركز الزهراء للدراسات والابحاث، القدس، 1990.
6. الجراوي، علي، الانتفاضة والقيادات السياسية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الطليعة، بيروت، 1989.
7. الحروب، خالد، الإسلاميون في فلسطين مواقف - قراءات - وقضايا أخرى، دار البشير، عمان، 1994.
8. الحروب، خالد، حماس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،
9. حزب التحرير، "حزب التحرير"، د. د. ن، د. ت. ن، د. م. ن.
10. الحسن، أبو الخوالد، الحركة الإسلامية في فلسطين، د. م. ن، د. د. ن، د. ت. ن.
11. الحمد، جواد، والبرغوثي، إياد، (محرران) دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس 1987 - 1996، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 1996.

12. الزبيدي، باسم، حماس والحكم: دخول النظام أم التمرد عليه، المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، رام الله، 2010.
13. زواوي، خالد علي، مرجعية الخطاب السياسي في فلسطين، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية، رام الله، 2012.
14. سلمان، هنادي، حوار صحفي مع فتحي الشقاقي، جريدة السفير، بيروت، 1994/6/22.
15. شريل، غسان، خالد مشعل يتذكر: حركة حماس وتحرير فلسطين، دار النهار، بيروت، 2006.
16. شماخ، عامر، أحمد ياسين شهيد أيقظ أمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2004.
17. كوهين، أمنون، الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949-1967، تعريب خالد حسن، مطبعة القادسية، القدس، 1988.
18. مشعال، شاؤول، وسيلع، ابرهام، عصر حماس، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، 2009.
19. مورو، محمد، فتحي الشقاقي صوت المستضعفين في مواجهة مشروع الهيمنة الغربي، المركز الفلسطيني للدراسات والتواصل الحضاري، غزة، 2011.
20. الواعي، توفيق، الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، د. ت. ن.
21. اليافوي، محمد، الشيخ الشهيد أحمد ياسين عظمة العطاء وروعة الشهادة، دار الإباء للنشر والتوزيع، القدس، 2004.